المقتحمة مثاليا في مفهوم النسق الفلسفي وصنمية المثال المطلق ٠٠ فلوكاش لا يقدم شرحا فنيا للرواية بقدر ما يقدم تأويلا فلسفيا لتكوين الرواية ٠ ويمكن ان نقول ان لوكاش يقدم تحليلا تاريخيا ـ نسقيا او تكوينيا ـ نسقيا للرواية ، فهو لا يدرس حركة الرواية وتطورها كنوع ادبي متميز بل يدرسها كقناع متميز لحركة اخرى تتجاوزها باستمرار ، اي انه لا يدرس الرواية من داخلها بل من خارجها مذيبا تاريخ الادب في تاريخ الاقتصاد ٠

ان مقاربة نظرية لمنهج لوكاش في دراسة الرواية تظهر لنا انه يدرس الرواية وتطورها بالاعتماد على عنصرين نظريين ، اولهما مفهوم تطور القوى المنتجة ، وثانيهما مقولة الانسان في سموه وانحطاطه ، اي ان لوكاش في دراسته للرواية كنوع ادبي متيمز يسقط في ثنائية : الاقتصادوية ـ الانسانوية / économisme/humanisme ٠ وهنا لا بد لنا من التذكير بموقف ألتوسير Althusser الذي نعت الممارسة الستالينية كلها بالاقتصادوية ـ الانسانوية ٠ فهذه الثنائية عندما تتكلم عن الاقتصاد ترفع راية الانسان المطلق ، وعندما تمجد الانسان الشامل تستعمل لغة الاقتصاد (٥) ٠ فالانسانوية لا تتحدث عن الصراع الطبقي والغائه عن طريق تحرر الطبقة العاملة ، بل عن الدفاع عن حقوق الانسان ، عن الحرية والعدالة ، عن تفتح الشخصية الانسانية الكاملة ، اما الاقتصادوية فلا تلقي الضوء على علاقات الانتاج والصراع الطبقي بقدر اهتمامها بتطور القوى المنتجة والانتاجية ودور الآلة في العمل ٠ والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو التالي : تحت اي شكل تتجلى الثنائية السابقة في نظرية لوكاش ؟٠ والحقيقة ان الجواب لا يقفز امام العين عاريا منذ البداية ، بل يجب البحث عنه مليا واخراجه من بين سطور لوكاش المثقلة بكثافة نظرية لا مراء فيها ٠ تتجلى النزعة الاقتصادوية في الايماءات او التصريحات التالية :

أ ـ عدم دراسة الرواية في ديالكتيكها الخاص بها ، بل تقطيعها الى أطوار روائية مختلفة تتوافق مع اطوار تطور القوى المنتجة ، بحيث يصبح ديالكتيك الرواية هو ديالكتيك القوى المنتجة عينها ٠ وهذا ما جعل لوكاش يقسم « حياة الرواية » الى خمسة اطوار تتوافق مع الحركة الاقتصادية للمجتمع الرأسمالي ٠

ب ـ ان ربط الادبي بالاقتصادي بشكل ميكانيكي جعل الاول يفقد حركته ويتحول الى مجرد ملحق بسيط للاول ، لهذا يربط لوكاش وبشكل وثيق بين انحطاط الرأسمالية وانحطاط الرواية البرجوازية ٠ بل يذهب لوكاش اكثر من ذلك ٠ فالرواية في تعريفه هي الشكل الادبي النموذجي للمجتمع البرجوازي ، وهذاصحيح تاريخيا ، لكن اقتصادويته تجعله يصل الى نتائج مفرطة في ميكانيكيتها ، فهو مثلا يوازي بين الانحطاط الرأسمالي والانحطاط الروائي ، بل يرى ان الرواية تفارق نموذجها الاول بسبب هذا الانحطاط . اي ان الرواية التي ولدت مع ولادة نمط الانتاج الرأسمالي تغرب او من المنطقي ان تغرب بغروبه ٠ ان لوكاش يماثل بين الادبي والاقتصادي في لحظة الميلاد ، ويماهي بين الادبي والاقتصادي لحظة الموت والغروب ٠ وعندما يصل الى مسألة محض فنية مثل تطور الشكل الروائي في لحظة محددة تاريخيا فانه يدعو هذا التطور بانحلال الشكل الروائي ، اي انه يرجع من جديد فيحل الادبي في الاقتصادي ٠ لهذا كان على لوكاش الذي قبل ـ لم يكن باستطاعته الرفض على أية حال ـ بالمقولة الستالينية عن انهيار الرأسمالية ان يطبق هذه المقولة السياسية الساذجة على الحقل الادبي ليثبت انهيار الشكل الروائي وتحلله في اعمال كافكا ، بروست ، وجيمس جويس !!

ج ـ في اسر اقتصادويته نسي لوكاش ان يدرس علاقة الاجناس الادبية ببعضها ، و الاثر